حولية الكوفة

دورية سنوية، تعنى بالدراسات والبحوث التراثية والمعاصرة المتخصصة بشؤون مدينة الكوفة ومسجدها المعظم
تصدر عن أمانة مسجد الكوفة والمزارات الملحقة به . العدد السادس . شهر شوال . ١٤٣٧ هـ / تموز . ٢٠١٦ م

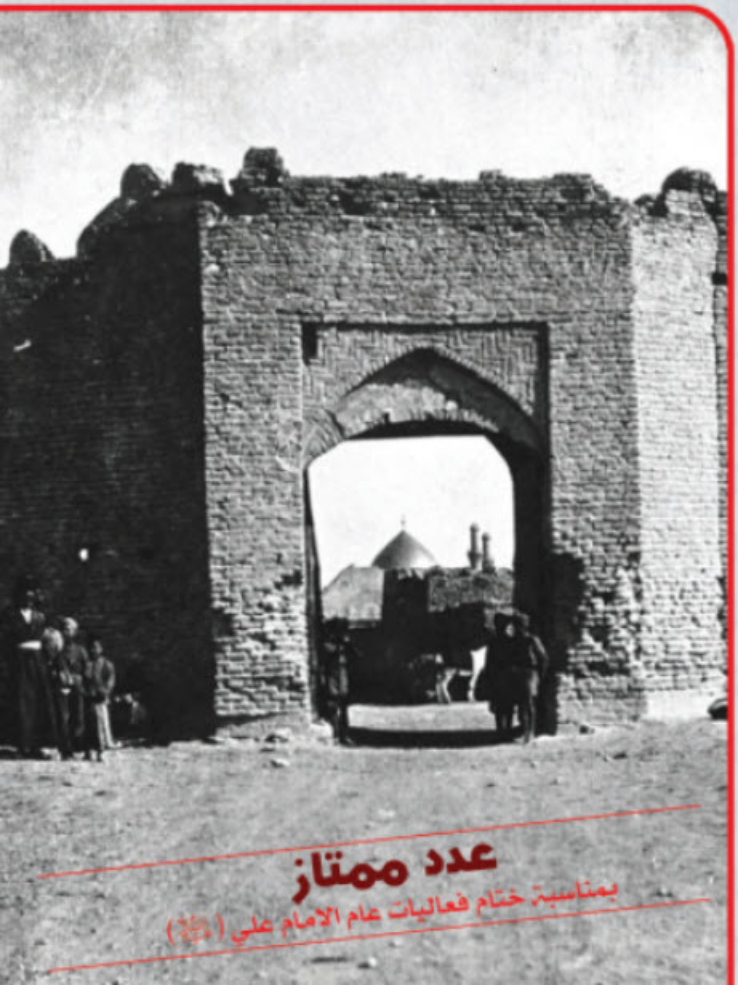

عدد ممتاز

بمناسبة ختام فعاليات عام الامام علي (عليه السلام)

٦

ديوان الوقف الشيعي
أمانة مسجد الكوفة
والمزارات الملحقة به

رئيس التحرير
د. كامل سلمان
الجبوري

(8)

صعصعة بن صوحان العبدي

العلامة السيد علي بن الحسين الهاشمي الخطيب

بسم الله الرّحمن الرّحيم

المقدمة:

الحمد لله الّذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله وصلّى الله على من اصطفاه من خلقه محمّد وعلى آله المنتجبين الأخيار.

لا غرو إذا ما عد العلماء في كتب الرّجال خطباء العرب وبلغائهم في الصّدر الأوّل، وجعلوا عنوان أسمائهم اسم ابن عمّ الرّسول: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليه السلام)، وزينوا به أسفارهم كالطّغراء لأسماء العلماء والبلغاء ترجمته، لأنّه أستاذهم فكلّ عالم وكلّ خطيب وكلّ عبقري يفتخر بأن يكون من تلامذته وما من عالم ولا خطيب ولا شاعر إلا ويذعن له ويتصاغر عند ذكره أو ينهل من ينبوع علمه على ممر الأجيال.

وكيف لا يكون أبو السّبطين كذلك، وهو الّذي قال فيه الرّسول الأعظم: كلمته المدوية في آفاق المسلمين -علي أقضاكم- قالها(صلى الله عليه وآله) في حشد من المهاجرين والأنصار، وقال(صلى الله عليه وآله): أنا دار الحكمة وعلي بابها، وقوله(صلى الله عليه وآله): أنا مدينة العلم وعلي بابها، إلى غير ذلك من أقواله(صلى الله عليه وآله) في علي(عليه السلام).

ولقد تخرج عليه(عليه السلام) رجالات عرفوا في الإسلام بعبقريتهم ونبوغهم، وذاع صيتهم في الأمم الإسلامية وغيرها، نعم تخرج عليه طائفة من العلماء والخطباء كعبد الله بن عبّاس -حبر الأمّة- وصعصعة بن صوحان العبدي -أستاذ الشّعبي في فن الخطابة- ونظائرهما مثل كميل بن زياد النّخعي -رجل العلم والسّياسة والورع والكياسة- ومثل عمرو بن الحمق الخزاعي -بطل الميادين- وميثم التّمار -الّذي عرف بزهده وصلاته- ومثل حبيب بن مظهر الأسدي -زعيم بني أسد بالكوفة- وناصر الحسين يوم الطّف ورشيد الهجري -صاحب علي(عليه السلام)- نبغ هؤلاء الأماثل وهم تلامذة أمير المؤمنين في الصّدر الأوّل، ولمعوا في هالة الكوفة، عاصمة الإمام علي(عليه السلام)، أوّل عاصمة للإسلام اتخذها علي(عليه السلام) بالعراق.

أجل طار صيتهم في الآفاق وسموا إلى أوج المعالي والكمال، هذا صعصعة بن صوحان العملاق الّذي نحن بصدد ترجمته فقد أبهر العقول بجواباته الحاضرة في شتى المجالات، وحير الألباب بخطاباته البليغة والّتي فرط بها الأسماع الفينة بعد الفينة.

إنّه تلميذ علي بن أبي طالب(عليه السلام) وحسبه بذلك شرفاً وفخراً، وكفاه بذلك مدحاً حين قال(عليه السلام) فيه هذا الخطيب الشّحشح يريد(عليه السلام) الماهر بالخطبة الماضي فيها.

نعم كفاه فخراً أن يثني عليه سيد البلغاء ويطريه بالمهارة وفصاحة اللسان، ولقد منحه الله تعالى إلى فصاحة اللسان قوة الجنان، حيث خاض غمار الحروب غير مرة، وكان قد أمره أمير المؤمنين على بعض الكراديس يوم صفين، فالله يجزي صعصعة عن جهاده دون الإسلام خير الجزاء يعتز المسلمون بأفذاذ نبغوا في الصّدر الأوّل، ولمعوا في فجر الإسلام وتلألؤا تلألؤ الفرقد في هالته.

يعتز الإسلام والمسلمون بمن أسلم في عهد الرّسول الأعظم، وحظي بسيد الرّسل، فأخذ عنه طقوس دينه وإسلامه، وجاهد وأبلى بين يديه(صلى الله عليه وآله) أولئك أفذاذ جلوا في مضمار السّبق لقدم إسلامهم أوّلاً ولمواهبهم الجبارة الّتي رفعتهم إلى أوج المحبة في قلوب المسلمين ثانياً.

كما وقد برزوا بمواهبهم الوقادة وشعلة أفكارهم الوضاءة على الكثيرين من أمثالهم هذا من سما بعلمه ونسكه، وذاك من عرف بشجاعته وإقدامه وآخر منهم من جلى ببلاغته وخطبه، وأمثالهم ممن سجلت الحروب مواقفه وإقدامه وتضحياته تجاه

الإسلام والنّبي المكرم(ﷺ)، فكان نصيبهم الوافر من الإعزاز والتّجلة لدى إخوانهم المسلمين بحق.

وكان ممن تسامى ببلاغته وخطبه، وعرف بطلاقة لسانه ولباقته وقوة جنانه -صعصعة بن صوحان العبدي رضوان الله عليه- أجل إنّه صعصعة بن صوحان: كريم المحتد شريف النّسب قبيلته أشهر قبيلة بالعرب -آل عبد القيس- وشخصيته تساير التّاريخ بالفخر والإعزاز.

ذاك الّذي ملأ التّاريخ صيته، بمواقفه المشهورة ومشاهده المشرفة فطفحت تلكم الأسفار وكتب الأدب بخطبه المرتجلة وآثاره الجليلة وآرائه الصّائبة وإنّ هذه الطّوامير الّتي دونت حياته بين أيدينا خير شاهد على ذلك.

كنيته أبو طلحة: ويكنى أيضاً بأبي عمر[1].

إخوته:

لصعصعة بن صوحان من الأخوة، عرفوا بإسلامهم وجهادهم وإخلاصهم في العقيدة: زيد بن صوحان[2]، سيحان بن صوحان[3] -رحمهم الله- إخوة ثلاثة أبطال الحروب ورجالات المشاهد وحملة الرّايات.

أمّا سيحان بن صوحان، فقد كانت راية أمير المؤمنين بيده يوم الجمل يحملها، طاعن بها حتّى قتل بين يدي أخ الرّسول علي بن أبي طالب(عليه السلام) ولما أن صرع -سيحان- أخذ الرّاية منه أخوه -زيد- وراح يطعن بها الصّدور ويجالد بين يدي صهر الرّسول، وأبي سبطيه حتّى أدى حقها، فتعطف عليه أهل البصرة -أصحاب الجمل- وقتلوه، فأخذ الرّاية أخوهما صعصعة.

وقال ابن قتيبة[4] «بنو صوحان» هم زيد بن صوحان وصعصعة بن صوحان، وسيحان بن صوحان من بني عبد القيس، فأمّا زيد فكان من خيار النّاس وروى الحديث، إنّ النّبي(ﷺ) قال: زيد الخير الأجذم، وجندب ما جندب، فقيل: يا رسول الله أتذكر رجلين؟ فقال(ﷺ): أمّا أحدهما فسبقته يده إلى الجنة بثلاثين عاماً، وأمّا الآخر فيضرب ضربة يفصل بها بين الحق والباطل، فكان أحد الرّجلين زيد بن صوحان.

شهد يوم جلولاء فقطعت يده، وشهد مع علي يوم الجمل، فقال: يا أمير المؤمنين ما أراني إلا مقتولاً، قال: وما علمك بذلك يا أبا سليمان، قال: رأيت يدي نزلت من السّماء وهي تستشلني، فقتله عمرو بن يثربي وقتل أخاه سيحان يوم الجمل، وأمّا الآخر فهو جندب بن زهير الغاضري ضرب ساحراً كان يلعب بين يدي الوليد بن عقبة فقتله، وكان صعصعة بن صوحان مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم الجمل وكان من أخطب النّاس:

كلمة عمر لصعصعة «أنت مني وأنا منك»:

لصعصعة بن صوحان شرف عظيم، وجاه خطير، ونفوذ كبير، لدى الصّحابة:

هاك واقرأ ما ذكره القرطبي: صعصعة بن صوحان، هذا هو القائل لعمر بن الخطاب حين قسم المال الّذي بعث به إليه أبو موسى وكان ألف ألف درهم، وفضلت منه فضلة فاختلفوا عليه حيث يضعها، فقام خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه وقال: أيّها النّاس، قد بقيت لكم فضلة بعد حقوق النّاس فما تقولون فيها؟

فقام صعصعة بن صوحان وهو غلام شاب، فقال: يا أمير المؤمنين إنما تشاور النّاس فيما لم ينزل الله فيه قرآناً، وأمّا ما أنزل الله به القرآن، ووضعه مواضعه فضعه في مواضعه الّتي وضعه الله تعالى فيها فقال: صدقت -أنت مني وأنا منك- فقسمه بين المسلمين[5].

صعصعة يحاور عثمان:

قال صعصعة بن صوحان دخلت على عثمان بن عفان: في نفر من المصريين، فقال عثمان: قدموا رجلاً منكم يكلمني فقدموني، فقال عثمان: هذا، وكأنه استحدثني، فقلت له: إنّ العلم لو كان بالسّن لم يكن لي ولا لك فيه سهم، ولكنه بالتّعلم، فقال عثمان: هات، فقلت: بسم الله الرّحمن الرّحيم الّذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصّلاة -الآية فقال عثمان: فيما نزلت هذه الآية، فقلت له: فأمر بالمعروف وأنه عن المنكر فقال عثمان: دع ذا وهات ما معك.

صعصعة وجماعة ينفون من الكوفة:

كان سعيد بن العاص، قد ولاه عثمان على الكوفة، وقد أنكر جماعة من القراء أهل الكوفة أموراً على عثمان وفي طليعتهم مالك الأشتر، وزيد بن صوحان وصعصعة بن

(1) انظر الذّهبي- تاريخ الإسلام عليه السلام/رضي الله عنه عليه السلام

(2) جاء في شذرات الذّهب للحنبلي: كان من خواص علي من الصّلحاء الأتقياء.

(3) ذكر ابن سعد: شهد صعصعة الجمل هو وأخواه زيد وسيحان ابنا صوحان، وكان سيحان الخطيب قبل صعصعة، وكانت الرّاية يوم الجمل في يده فقتل، فأخذها صعصعة، هكذا ذكر ابن سعد في طبقاته رضي الله عنه/عليه السلام

(4) انظر ابن قتيبة الدّينوري -المعارف- ص رضي الله عنه، ط رضي الله عنه عليه السلام

(5) انظر الجزري -أسد الغابة- عليه السلام/رضي الله عنه عليه السلام والاستيعاب للقرطبي بهامش الإصابة عليه السلام/رضي الله عنه عليه السلام مصر.

صوحان، وعدي بن حاتم الطّائي -الجواد- ومالك بن حبيب ابن خراش، وقيس بن عطارد بن حاجب بن زرارة، وزياد بن خصفة بن ثقف من بني تيم الله، وغيرهم من وجوه أهل الكوفة.

وراح سعيد بن العاص يندد بهم ويهددهم، وصاروا يغلضون عليه في الكلام، فكتب إلى عثمان في أمرهم، فكتب إليه سيرهم إلى الشّام، وكتب معاوية إلى الأشتر «إنّي لأراك تضمر شيئاً لو أظهرته لحل دمك وما أظنك منتهياً حتّى تصيبك قارعة لا بقيا بعدها، فإذا أتاك كتابي هذا فسر إلى الشّام لإفسادك من قبلك وإنّك لا تألوهم خبالاً، فسير سعيد الأشتر، ومن كان وثب مع الأشتر، وهم زيد وصعصعة ابنا صوحان وعائذ بن حملة الطّهوي من بني تيم، وكميل بن زياد النخعي، وأضرابهم».

فكتب جماعة من أشراف أهل الكوفة وأعيانهم -إنّ سعيداً كثر على قوم من أهل الورع والفضل والعفاف، فحملك في أمرهم على مالا يحل في دين ولا يحسن في سماع، وإنّا نذكرك في أمّة محمّد(صلى الله عليه وآله) فقد خفنا أن يكون فساد أمرهم على يديك لأنّك قد حملت بني أبيك على رقابهم، واعلم أنّ ذلك ناصراً ظالماً، وناقماً عليك مظلوماً، فمتى نصرك الظّالم ونقم عليك النّاقم تباين الفريقان واختلفت الكلمة، ونحن نشهد عليك الله وكفى به شهيداً، فإنّك أميرنا ما أطلعت الله واستقمت، ولن تجد دون الله ملتحداً ولا عنه منتقداً، ولم يسم أحد منهم نفسه في الكتاب، وبعثوا به مع رجل من عنزة يكنى -أبا ربيعة- وكتب كعب بن عبدة كتاباً من نفسه تسمى فيه ودفعه إلى أبي ربيعة فلمّا قدم أبو ربيعة على عثمان سأله عن أسماء القوم الّذين كتبوا الكتاب فلم يخبره، فأراد ضربه وحبسه، فمنعه علي من ذلك وقال: إنّما هو رسول أدى ما حمل، وكتب عثمان إلى سعيد أن يضرب كعب بن عبدة عشرين سوطاً ويحول ديوانه إلى الرّي ففعل.

وأمّا صعصعة ومن معه فإنّهم سيروا إلى الشّام، فخاف معاوية أن يهيجوا عليه أهل الشّام، فكتب في أمرهم إلى عثمان فكتب إليه سيرهم إلى حمص وكان واليها عبد الرّحمن بن خالد بن الوليد بن المغيرة.

وكتب عثمان إلى ولاته بالحضور عنده فسار معاوية من الشّام وعبد الرّحمن من حمص وسعيد بن العاص من الكوفة، فاغتنم القراء هذه الفرصة غياب القوم عن ولاياتهم فرجعوا إلى الكوفة، ولما دخل الأشتر الكوفة، قال له قبيصة بن جابر بن وهب الأسدي:

يا أشتر دام شترك وعفا أثرك، أطلت الغيبة، وجئت بالخيبة، أتأمرنا بالفرقة ونكث البيعة وخلع الخليفة، فقال الأشتر: يا قبيصة بن جابر، وما أنت وهذا فوالله ما أسلم قومك إلا كرهاً ولا هاجروا إلا فقراً، ووثب النّاس على قبيصة فضربوه وجرحوه فوق حاجبه.

وجعل الأشتر يقول: لا حر بوادي عرف من لا يزد عن حوضه بهدم.

ثمّ صلّى بالنّاس الجمعة، وقال لزياد بن النّضر، صل بالنّاس سائر صلواتهم وألزم القصر، وأمر كميل بن زياد، فأخرج ثابت بن قيس بن الخطيم الأنصاري من القصر، وكان سعيد بن العاص خلفه على الكوفة، حين شخص إلى عثمان[1] ورتب الأشتر المراتب وعسكر العساكر، وبعث القواد إلى الأطراف، حتّى قام بالأمر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليه السلام).

صعصعة الرّسول إلى معاوية:

إذا كان يقال -الرّسول عقل المرسل- فمن هنا يتجلى للقارئ الكريم خطر صعصعة وعظم شأنه إذ ينتخبه أمير المؤمنين عليه السّلام من بين أصحابه الأماثل رسولاً له فيرسله إلى معاوية ليؤدي إليه ما حمله علي أمير المؤمنين(عليه السلام).

يحدثنا المسعودي في مروجه[2] قال: لما انصرف علي من -الجمل- قال لآذنه: من بالباب من وجوه العرب، قال: محمّد بن عمير بن عطارد التّميمي، والأحنف بن قيس، وصعصعة بن صوحان العبدي، في رجال سماهم، فقال ائذن لهم: فأذن لهم فدخلوا فسلموا بالخلافة، فقال لهم: أنتم وجوه العرب عندي، ورؤساء أصحابي، فأشيروا علي في أمر هذا الغلام المترف - يعني معاوية- فأفتنت بهم المشورة عليه، فقال صعصعة: إنّ معاوية أترفه الهوى وحببت إليه الدّنيا، فهانت عليه مصارع الرّجال: وابتاع آخرته بدنياهم، فإن تعمل فيه برأي ترشد وتصب إن شاء الله تعالى.

والتّوفيق بالله وبرسوله وبك يا أمير المؤمنين، الرّأي أن ترسل إليه عيناً من عيونك وثقة من ثقاتك بكتاب تدعوه إلى بيعتك، فإن أجاب وأناب، كان له ما لك وعليه ما عليك، وإلا جاهدته وصبرت لقضاء الله حتّى يأتيك اليقين، فقال علي(عليه السلام) عزمت عليك يا صعصعة إلا كتبت الكتاب بيدك، وتوجهت به إلى معاوية.

واجعل صدر الكتاب تحذيراً وتخويفاً، وعجزه استنابة واستنابة.

---

(1) انظر البلاذري -أنساب الأشراف- صلى الله عليه وآله/عليه السلام.

(2) انظر مروج الذّهب للمسعودي صلى الله عليه وآله/رضي الله عنه.

وليكن فاتحة الكتاب بسم الله الرّحمن الرّحيم، من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى معاوية، سلام عليك أما بعد، ثمّ اكتب ما أشرت به علي: واجعل عنوان الكتاب «إلى الله تصير الأمور».

قال: أعفني من ذلك، قال: عزمت عليك لتفعلن، قال: افعل، فخرج بالكتاب وتجهز وسار حتّى ورد دمشق، فأتى باب معاوية، فقال لآذنه: استأذن لرسول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وبالباب أردفه من بني أمية، فأخذته الأيدي والنّعال.

لقوله وهو يقول: «أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله» وكثرت الجلبة واللغط فاتصل ذلك بمعاوية، فوجّه بمن يكشف النّاس عنه فكشفوا، ثمّ أذن لهم فدخلوا، فقال لهم: من هذا الرّجل؟ قالوا رجل من العرب، يقال له صعصعة بن صوحان معه كتاب من علي، فقال: والله لقد بلغني أمره، هذا أحد سهام علي. وخطباء العرب ولقد كنت إلى لقائه شيقاً، ائذن له يا غلام.

فدخل عليه، فقال: السّلام عليك يا بن أبي سفيان، هذا كتاب أمير المؤمنين، فقال معاوية: أمّا أنّه لو كانت الرّسل تقتل في جاهلية أو إسلام لقتلتك، ثمّ اعترضه معاوية في الكلام، وأراد أن يستخرجه ليعرف قريحته أطيعاً أم تكلفاً، فقال: ممن الرّجل؟ قال: من نزار، قال: وما كان نزار؟ قال: كان إذا غزا نكس، وإذا لقي افترس، وإذا انصرف احترس، قال: فمن أي أولاده أنت؟ قال: من ربيعة، قال: وما كان ربيعة؟ قال: كا يطيل النّجاد، ويعول العباد، ويضرب ببقاع الأرض العماد، قال: فمن أي أولاده أنت؟ قال: من جديلة، قال: وما كان جديلة؟ قال: كان في الحرب سيفاً قاطعاً، وفي المكرمات غيثاً نافعاً وفي اللّقاء لهباً ساطعاً، قال: فمن أي أولاده أنت؟ قال: من عبد القيس، قال: وما كان عبد القيس؟ قال: كان حضرياً خصيباً أبيض، وهاباً لضيفة ما يجد ولا يسأل عما فقد، كثير المرق. طيب العرق، يقوم للناس مقام الغيب من السّماء، قال: ويحك يابن صوحان، فما تركت لهذا الحي من قريش مجداً ولا فخراً.

قال: بلى والله يا بن أبي سفيان، تركت لهم ما لا يصلح إلا بهم.

ولهم تركت الأبيض والأحمر والأصفر والأشقر والسّدير والمنبر والملك إلى المحشر، وإنّي لا يكون ذلك كذلك، وهم منار الله في الأرض، ونجومه في السّماء، ففرح معاوية، وظنّ أنّ كلامه يشتمل على قريش كلّها، فقال: صدقت يا بن صوحان، إنّ ذلك كذلك، فعرف صعصعة ما أراد، فقال: ليس لك ولا لقومك في ذلك إصدار ولا إيراد، بعدتم ألف المرعى، وعلوتم عن عذب الماء، قال: فلم ذلك؟ ويلك يا بن صوحان قال: الويل لأهل النّار، ذلك لبني هاشم، قال: قم، فأخرجوه، فقال صعصعة: الصّدق ينبئ عنك لا الوعيد، من أراد المشاجرة قل المحاورة، فقال معاوية لشيء ما سوده قومه، وودت الله أنّي من صلبه، ثمّ التفت إلى بني أمية، فقال: هكذا فلتكن الرّجال.

وكذلك أرسله علي(عليه السلام) ومعه ابن عبّاس إلى الخوارج كما ذكر جاء في -البدء والتّاريخ-[1]، قال: وذلك لما ارتحل علي(عليه السلام) من صفين، واختلف أصحاب جباه السّود على خليفتهم الشّرعي أمير المؤمنين واعتزله منهم اثنا عشر ألفاً، وصاروا إلى حروراء قرية من سواد الكوفة، وأمروا على القتال شبث بن ربعي، وعلى الصّلاة عبد الله بن الكواء، فبعث إليهم عبد الله ابن عباس وصعصعة بن صوحان يدعونهم إلى الجماعة، فما رجعوا عن غيهم وصمموا على مفارقة علي(عليه السلام) حتّى قتلهم بالنّهروان.

صعصعة ووقعة صفين:

عن عبد الله بن عوف الأحمر، قال: لما قدمنا على معاوية وأهل الشّام، وجدناهم قد نزلوا منزلاً اختاروه مستوياً بساطاً واسعاً، وأخذوا الشّريعة فهي في أيديهم، وقد صف أبو الأعور عليها الخيل والرّجالة، وقدم المرامية ومعهم أصحاب الرّماح والدّرق، وعلى رؤوسهم البيض، وقد أجمعوا أن يمنعونا الماء، ففزعنا إلى أمير المؤمنين(عليه السلام) فأخبرناه بذلك، فدعا صعصعة بن صوحان العبدي، فقال: ائت معاوية، فقل: إنّا سرنا مسيرنا هذا وأنا أكره قتالكم قل الأعذار إليكم، وإنّك قد قدمت بخيلك فقاتلتنا قبل أن نقاتلك، وبدأتنا بالقتال ونحن من رأينا الكف حتّى ندعوك ونحتج عليك، وهذه أخرى قد فعلتموها حتّى حلتم بين النّاس وبين الماء، فخل بينهم وبينه حتّى ننظر فيما بيننا وبينكم، وفيما قدمنا له وقدمتم، وإن كان أحبّ إليك أن ندع ما جئنا له وندع النّاس يقتتلون على الماء حتّى يكون الغالب وهو الشّارب فعلنا.

فقال معاوية لأصحابه: ما ترون؟

فقال الوليد بن عقبة: امنعهم الماء كما منعوا ابن عفان.

حصروه أربعين يوماً يمنعونه برد الماء ولين الطّعام، اقتلهم عطشاً قتلهم الله، فقال عمرو: خل بين القوم وبين الماء، فإنّهم لن يعطشوا وأنت ريان، ولكن لغير الماء فانظر فيما بينك وبينهم.

فأعاد الوليد مقالته.

وقال عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وهو أخو عثمان من الرّضاعة: «امنعهم الماء إلى اللّيل» فإنّهم إن لم يقدروا عليه

(1) انظر مطهر بن طاهر المقدسي -البدء والتّاريخ- صلى الله عليه وآله وسلم/

رجعوا، وكان رجوعهم هزيمتهم، امنعهم الماء منعهم الله يوم القيامة[1].

فقال صعصعة بن صوحان: إنّما يمنعه الله يوم القيامة الكفرة الفجرة شربة الخمر، ضربك وضرب هذا الفاسق -يعني الوليد بن عقبة- فوثبوا إليه يشتمونه ويتهددونه، فقال معاوية: كفوا عن الرّجل فإنّه رسول.

قال: ثمّ إنّ صعصعة رجع إلينا فحدثنا بما قال معاوية: وما كان منه، وما رد عليه، فقلنا: وما رد عليك معاوية؟

قال: لما أردت الانصراف من عنده قلت: -ما ترد علي؟- فقال: سيأتيكم رأيي، قال: فوالله ما راعنا إلا تسوية الرّجال والخيل والصّفوف، فأرسل إلى أبي الأعور، امنعهم الماء.

فازدلفنا والله إليهم، فارتمينا واطعنا بالرّماح، واضطربنا بالسّيوف.

فطال ذلك بيننا وبينهم، فضاربناهم فصار الماء في أيدينا، فقلنا والله لا نسقيهم، فأرسل إلينا علي(عليه السلام) خذوا من الماء حاجتكم وارجعوا إلى معسكركم، وخلوا بينهم وبين الماء فإنّ الله قد نصركم ببغيهم وظلمهم وما أحسن قول الشّاعر في هذا الموضوع:

فالبغي يصرع أهله والظّلم مصدره وخيم

روايته:

يروي صعصعة بن علي وروى عنه جماعة منهم أبو إسحاق السّبعي، والمنهال بن عمر، وعبد الله بن بريدة، وغيرهم[2].

صعصعة يروي وقعة صفين:

عقد علي(عليه السلام) الألوية وكتب الكتائب، جعل على عبد القيس الكوفة صعصعة بن صوحان العبدي، وإنّ صعصعة كان يروي معظم حوادث الوقعة، والمواقف الشّهيرة في صفين.

يحدثنا صعصعة عن حملات الأشتر، قال: إنّ الأشتر قتل بيده في معركة واحدة من وقائع صفين سبعة من أبطالهم وهم: صالح بن فيروز العكي، مالك بن أدهم السّلماني، رباح بن عتيك الغساني، الأحلج بن منصور الكندي، إبراهيم بن وضاح الجمحي، زامل بن عبيد الخزامي، محمّد بن الجمحي.

قال صعصعة: ثمّ إنّ الأشتر أقبل يضرب بسيفه جمهور النّاس حتّى كشف أهل الشّام عن الماء وهو يقول:

لا تذكروا ما قد مضى وفاتا
والله ربي باعث الأمواتا
من بعد ما صاروا صدى رفاتا
لأوردن خيلي الفراتا
شعث النّواصي أو يقال ماتا

وكذلك يروي صعصعة بن صوحان موقفاً من مواقف أمير المؤمنين في وقعة صفين.

قال: إنّ علي بن أبي طالب(عليه السلام) صاف أهل الشّام: حتّى برز رجل من حمير من آل ذي يزن، اسمه كريب بن الصّباح، ليس في أهل الشّام يومئذ رجل أشهر شدة بالبأس منه، ثمّ نادى من يبارز؟ فبرز إليه المرتفع بن الوضاح الزّبيدي، فقتل المرتفع ثمّ نادى من يبارز؟ فبرز إليه الحارث بن الحلاج فقتل، ثمّ نادى من يبارز؟ فبرز إليه عائذ بن مسروق الهمداني فقتل عائذاً، ثمّ رمى بأجسادهم بعضها فوق بعض، ثمّ قام عليها بغياً واعتداءاً، ثمّ نادى هل بقي من مبارز؟ فبرز إليه علي(عليه السلام) ثمّ ناداه ويحك يا كريب، إني أحذرك الله وبأسه ونقمته، وأدعوك إلى سنة الله وسنة رسوله، ويحك لا يدخلنك ابن آكلة الأكباد النّار، فكان جوابه أن قال: ما أكثر ما قد سمعنا هذه المقالة منك، فلا حاجة لنا فيها، أقدم إذا شئت، من يشتري سيفي وهذا أثره، فقال علي(عليه السلام): لا حول ولا قوة إلا بالله، ثمّ مشى إليه فلم يمهله أن ضربه ضربة خر منها قتيلاً يتشحط في دمه، ثمّ نادى(عليه السلام) من يبارز فبرز إليه الحارث بن وداعة الحميري، فقتل الحارث، ثمّ نادى من يبرز؟ فلم يبرز إليه أحد، ثمّ إنّ علياً نادى يا معشر المسلمين ﴿**الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ**﴾[3]، ويحك يا معاوية، هلم إلي فبارزني ولا يقتتلن النّاس فيما بينهم، فقال عمرو: اغتنمه منتهزاً، وقد قتل ثلاثة من أبطال العرب، وإنّي أطمع أن يظفرك الله به، فقال معاوية: ويحك يا عمرو، والله أن تريد إلا أقتل فتصيب الخلافة بعدي -اذهب إليك فليس مثلي يخدع- قال صعصعة: وقام أبرهة بن الصّباح بن أبرهة الحميري، وقال: ويلكم يا معشر أهل اليمن، والله إني لأظن أن قد أذن بفنائكم، ويحكم خلوا بين هذين الرّجلين فليقتتلا، فأيّهما قتل صاحبه ملنا معه جميعاً، وكان أبرهة من رؤساء أصحاب معاوية، فبلغ ذلك علياً، فقال: صدق الرّجل -أبرهة- والله ما سمعت بخطبة منذ وردت الشّام أنا بها أشد سروراً مني بهذه، وبلغ معاوية كلام أبرهة، فتأخر آخر الصّفوف، وقال لمن

(1) وذكر ابن كثير في البداية والنّهاية مثله رضي الله عنه/رضي الله عنهما.
(2) انظر ابن حجر العسقلاني الإصابة صلى الله عليه وآله/صلى الله عليه وآله وسلم.
(3) سورة البقرة.

حوله: إني لأظن أبرهة مصاباً في عقله، فأقبل أهل الشّام يقولون، والله إنّ أبرهة لأفضلنا ديناً ورأياً وبأساً، ولكن معاوية كره مبارزة علي، فقال أبرهة: في ذلك:

لقد قال ابن أبرهة مقالاً

وخالفه معاوية بن حرب

إلى آخر شعره:

ويروي صعصعة أيضاً خطبة الأشعث بن قيس ليلة الهرير في أصحابه من كندة، ولما إن خطب الأشعث، قال صعصعة: فانطلقت عيون معاوية إليه بخطبة الأشعث، فقال: أصاب ورب الكعبة، قال صعصعة: فثار أهل الشّام، فنادوا في سواد الليل، يا أهل العراق، من لذرارينا إن قتلتمونا، ومن لذراريكم إن قتلناكم؟ الله الله في البقية الباقية، فأصبح أهل الشّام وقد رفعوا المصاحف على رؤوس الرّماح وقلدوها الخيل، ورفع مصحف دمشق الأعظم، تحمله عشرة رجال على رؤوس الرّماح، ونادوا: يا أهل العراق كتاب الله بيننا وبينكم.

قلت ومن ثمّ كانت المكيدة الّتي دبرها عمرو بن العاص، فقال علي(عليه السلام) حينذاك: عباد الله إني أحق من أجاب إلى كتاب الله، ولكن معاوية وعمرو بن العاص، وابن أبي معيط، وحبيب بن مسلمة، وابن أبي سرح، ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، إني أعرف بهم منكم، صحبتهم أطفالاً وصحبتهم رجالاً، فكانوا شر الأطفال وشر رجال، إنّها كلمة حق يراد بها باطل، إنّهم والله ما رفعوها، إنّهم يرفعونها ويعملون بها، ولكنها الخديعة والوهن والمكيدة، أعيروني سواعدكم وجماجمكم ساعة واحدة، فقد بلغ الحق مقطعه، ولم يبق إلا أن يقطع دابر الّذين ظلموا، وصعصعة هذا أيضاً روى خطبة ذي الكلاع الحميري:

وكذلك صعصعة يروي خطبة يزيد بن أسد البجلي في واقعة صفين.

صعصعة ومعاوية:

يحدثنا المسعودي[1] عن الحارث بن مسمار البهراني، قال حبس معاوية صعصعة بن صوحان العبدي، وعبد الله بن الكوا اليشكري، ورجالاً آخرين من أصحاب علي(عليه السلام) مع رجال من قريش، فدخل عليهم معاوية يوماً، فقال: نشدتكم بالله إلا ما قلتم حقاً وصدقاً، أي الخلفاء رأيتموني؟ فقال ابن الكواء: لولا أنّك عزمت علينا ما قلنا لأنك جبار عنيد، لا تراقب الله في قتل الأخيار، ولكنا نقول: إنّك ما علمنا، واسع الدّنيا ضيق الآخرة قريب الشّرب، بعيد المرعى، تجعل الظّلمات نوراً والنّور ظلمات، فقال معاوية: إنّ الله أكرم هذا الأمر بأهل الشّام الذّابين عن بيضته التّاركين لمحارمه، ولم يكونوا كأمثال أهل العراق المنتهكين لمحارم الله، والمحلين ما حرم الله، والمحرمين ما أحل الله، فقال عبد الله بن الكواء: يا بن أبي سفيان إنّ لكلّ كلام جواباً، ونحن نخاف جبروتك، فإن كنت تطلق ألسنتنا ذببنا عن أهل العراق، بالسنة حداد لا يأخذها في الله لومة لائم، وإلا فإنا صابرون حتّى يحكم الله ويضعنا على فرجه، قال: والله لا يطلق لك لسان.

ثمّ تكلم صعصعة، فقال: تكلمت يا بن سفيان فابلغت، ولم تقصر عما أردت، وليس الأمر على ما ذكرت، أنى يكون الخليفة من ملك النّاس قهراً ودانهم كبراً، واستولى بأسباب الباطل كذباً ومكراً؟ أما والله مالك في يوم بدر مضرب ولا مرمى ما كنت فيه إلا كما قال القائل: «لا حلى ولا سيرى» أو «لا حاء ولا ساء»[2] ولقد كنت وأبوك في العير والنّفير[3]، ممن أجلب على رسول الله(صلى الله عليه وآله) وإنما أنت طليق وابن طليق، أطلقكما رسول الله(صلى الله عليه وآله) فانى تصلح الخلافة لطليق؟ فقال معاوية: لولا أني أرجع إلى قول أبي طالب حيث يقول:

قابلت جهلهم حلماً ومغفرة

والعفو عن قدرة ضرب من الكرم

لقتلتكم.

صعصعة ومعاوية بالكوفة:

دخل معاوية الكوفة، بعد أن صالح الحسن(عليه السلام) وكان الحسن وقتئذ قد أخذ الأمان لرجال منهم مسمين بأسمائهم وأسماء آبائهم، فدخل عليه رجال من أصحاب أمير المؤمنين(عليه السلام)، وفيهم صعصعة بن صوحان، فقال معاوية لصعصعة: أما والله إني كنت لأبغض أن تدخل في أماني، قال صعصعة: وأنا والله أبغض أن أسميك بهذا الاسم، ثمّ سلم عليه بالخلافة، فقال معاوية: إن كنت صادقاً فاصعد المنبر وألعن علياً، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: أيّها النّاس، أتيتكم من عند رجل قدم شره وأخر خيره، وإنّه أمرني أن ألعن علياً فالعنوه لعنه الله، فضج أهل المسجد بآمين فلما رجع إليه فأخبره، قال: لا والله ما عنيت غيري، ارجع حتّى تسميه باسمه، فرجع وصعد المنبر، ثمّ قال: أيّها النّاس إنّ أمير المؤمنين أمرني أن ألعن علي بن أبي طالب، فالعنوا من لعن علي بن أبي طالب(عليه السلام) فضجوا بآمين، فلما خبر معاوية، قال: لا والله ما عنى غيري، أخرجوه لا يساكنني في بلد فأخرجوه[4].

---

(1) انظر مروج الذّهب للمسعودي عليه الرحمة/رضي الله عنه.

(2) هذا مثل يضرب معناه أنّه ليس لك فيه أمر ولا نهي المدائني مجمع الأمثال.

(3) أيضاً هذا مثل يضرب.

(4) انظر جامع الرّواة للأردبيلي عليه الرحمة/رضي الله عنه.

وذكر الذّهبي، قال: وفد صعصعة على معاوية فخطب فقال معاوية: إذ كنت لأبغض أن أراك خطيباً قال وأنا كنت لأبغض أن أراك خليفة[1].

معاوية يسأل صعصعة:

ذكر المسعودي[2] قال: دخل صعصعة بن صوحان على معاوية، فقال له: يا بن صوحان، أنت ذو معرفة بالعرب وبحالها، فأخبرني عن أهل البصرة، وإيّاك والحمل على قوم لقوم، قال: البصرة واسطة العرب، ومنتهى الشّرف والسّؤدد، وهم أهل الخطط في أوّل الدّهر وآخره، وقد دارت بهم سروات العرب كدوران الرّحى على قطبها، قال: فأخبرني عن أهل الكوفة، قال: قبة الإسلام، وذروة الكلام، ومصان ذوي الأعلام، إلا أنّ بها أجلافاً تمنع ذوي الأمر الطّاعة، قال: أخبرني عن أهل الحجاز، قال: أسرع النّاس إلى فتنة وأضعفهم عنها، وأقلهم غناء فيها، غير أنّ لهم ثباتاً في الدّين وتمسكاً بعروة اليقين، يتبعون الأئمّة الأبرار، وأنت وأصحابك من أولئك، ثمّ أحب معاوية أن يمضي صعصعة في كلامه، بعد أن بان فيه الغضب، فقال أخبرني عن القبة الحمراء في ديار مضر، قال: أسد مضر بسلاء بين غيلين، إذا أرسلتها افترست، وإذا تركتها احترست، فقال معاوية: هنالك يا بن صوحان العز الرّاسي، فهل في قومك مثل هذا؟ قال: هذا لأهله دونك يا بن أبي سفيان، ومن أحب قوماً حشر معهم، قال: فأخبرني عن ديار ربيعة ولا يستخفنك الجهل، وسابقة الحمية بالتّعصب لقومك، قال: والله ما أنا عنهم براض، ولكني أقول فيهم وعليهم، هم والله أعلام الليل، وأذناب في الدّين والميل، إن تغلب رايتها إذا رشحت خوارج الدّين برازخ اليقين، من نصروه فلج، ومنذ خذلوه زلج، قال: فأخبرني عن مضر، قال: كنانة العرب، ومعدن العز والحسب، يقذف البحر بها آذيه، والبر راديه، ثمّ أمسك معاوية، فقال له صعصعة: سل يا معاوية وإلا أخبرتك بما تحيد عنه، قال: وما ذاك يا بن صوحان؟ قال: أهل الشّام، قال: فأخبرني عنهم، قال: أطوع النّاس لمخلوق وأعصاهم للخالق، عصاة الجبار وخلفة أشرار، فعلهم الدّمار، ولهم سوء الدّار، فقال معاوية: والله يا بن صوحان، إنّك لحامل مديتك منذ أزمان، إلا أنّ حلم ابن أبي سفيان يرد عنك، فقال صعصعة: بل أمر الله وقدرته، ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَراً مَقْدُوراً﴾[3].

محاورة صعصعة مع معاوية:

ذكر إبراهيم بن عقيل البصري، قال: قال معاوية: يوماً وعنده صعصعة، وكان قدم عليه بكتاب علي(عليه السلام) وعنده وجوه النّاس -الأرض لله وأنا خليفة الله- فما آخذ من مال فهو لي، وما تركته منه كان جائزاً لي، فقال صعصعة:

تمنيك نفسك ما لا يكو
ن جهلاً معاوي لا تأثم

فقال معاوية: يا صعصعة تعلمت الكلام، قال: العلم بالتّعلم، ومن لا يعلم يجهل، قال معاوية: ما أحوجك إلى أن أذيقك وبال أمرك، قال: ليس ذلك بيدك، ذلك بيد الّذي يؤخر نفساً إذا جاء أجلها، قال: ومن يحول بيني وبينك؟ قال: الّذي يحول بين المرء وقلبه، قال معاوية: اتسع بطنك للكلام كما اتسع بطن البعير للشعير، قال: اتسع بطن من لا يشبع، ودعا عليه من لا يجمع[4].

وذكر الأندلسي في عقده[5]، قال: ودخل صعصعة بن صوحان على معاوية، ومعه عمرو بن العاص جالس على سريره، فقال: وسع له على ترابية فيه، فقال صعصعة: إني والله لترابي، منه خلقت وإليه أعود ومنه أبعث، وإنك لمارج من نار، انتهى.

فصاحة صعصعة وبلاغته:

قال المسعودي لصعصعة بن صوحان أخبار حسان، وكلام في نهاية البلاغة والفصاحة والإيضاح عن المعاني على إيجاز واختصار ومن ذلك خبره مع عبد الله بن العبّاس، وهو ما حدث به المدائني.

عن زيد بن طليح الذّهلي الشّيباني، قال: أخبرني عن مصقلة ابن هبيرة الشّيباني، قال: سمعت صعصعة بن صوحان، وقد سأله ابن عبّاس، ما السّؤدد فيكم؟ فقال: إطعام الطّعام، ولين الكلام وبذل النّوال، وكف المرء نفسه عن السّؤال والتّودد للصغير والكبير، وأن يكون النّاس عندك شرعاً، قال: فما المروءة؟ قال: إخوان اجتمعا، فإن لقيا قهراً، وكان حارسهما قليلاً وصاحبهما، جليلاً لجاجان إلى صيانة، مع نزاهة وديانة، قال: فهل تحفظ في ذلك شعراً؟ قال: نعم، أما سمعت قول مرة بن ذهل بن شيبان حيث يقول:

إنّ السّيادة والمروءة علقاً
حيث السّماء من السماك الأعزل
وإذا تقابل مجريان لغاية
عثر الهجين وأسلمته الأرجل
ويجي الصّريح مع العتاق معوداً

(1) انظر الذّهبي تاريخ الإسلام صلى الله عليه وآله/عليه السلام/رضي الله عنه.
(2) انظر مروج الذّهب للمسعودي صلى الله عليه وآله/عليه السلام/رضي الله عنه، طبع دار الرّجاء مصر.
(3) سورة الأحزاب.
(4) هكذا ورد في مروج الذّهب صلى الله عليه وآله/عليه السلام/رضي الله عنه.
(5) انظر ابن عبد ربه الأندلسي العقد الفريد رضي الله عنه/عليه السلام/صلى الله عليه وآله.

قـــرب الجيـــاد فلـــم يحثـــه الأفكـــل

في أبيات، فقال له ابن عبّاس، لولا أنّ رجلاً ضرب آباط إبله مشرقاً ومغرباً لفائدة هذه الأبيات ما عنفته، أنا منك يا بن صوحان لعلى علم وحلم واستنباط ما قد عفا من أخبار العرب، فمن الحليم فيكم؟ قال: من ملك غضبه فلم يفعل، وسعي إليه بحق أو باطل فلم يقبل، ووجد قاتل أبيه وأخيه فصفح ولم يقتل ذلك الحليم يا بن عبّاس، قال: فهل تجد ذلك فيكم كثيراً؟ قال: ولا قليلاً، وإنما وصفت لك أقواماً لا تجدهم إلا خاشعين راهبين لله، مريدين ينيلون ولا ينالون، فأمّا الآخرون، فإنّهم سبق جهلهم حلمهم، ولا يبالي أحدهم إذا ظفر ببغيته حين الحفيظة من كان، بعد أن أدرك زعمه ويقضي بغيته، ولو وتره أبوه لقتل أباه أو أخوه لقتل أخاه، أما سمعت إلى قول ريان بن عمرو بن ريان، وذلك أنّ عمراً أباه قتله مالك بن كومة، فأقام ريان زماناً، ثمّ غزا مالكاً، فأتاه في مأتي فارس صباحاً، وهو في أربعين بيتاً فقتله وقتل أصحابه، وقتل عمّه فيمن قتل، ويقال: بل كان أخاه، وذلك أنّه كان جاورهم، فقيل لريان في ذلك قتلت صاحبنا؟ فقال:

فلـــو أمـــي ثقفـــت بحيـــث كـــانوا
لبـــل ثيابهـــا عـــرق صـــهيب
ولـــو كانـــت أميـــة أخـــت عمـــرو
بهـــذا المـــاء ظـــل لهـــا نحيـــب
شـــهرت الـــسّيف فـــي الأدنـــين منـــي
ولـــم تعطـــف أواصـــرانا قلـــوب

فقال ابن عبّاس: فمن الفارس فيكم؟ حد لي حداً أسمعه منك، فإنّك تضع الأشياء مواضعها يا بن صوحان، قال: الفارس من قصر أجله في نفسه، وضغم على أمله بضرسه، وكانت الحرب أهون عليه من أمسه، ذلك الفارس إذا وقدت الحروب واشتدت بالأنفس الكروب، وتداعوا للنزال، وتزاحفوا للقتال، وتخالسوا واقتحموا بالسّيوف اللجج، قال: أحسنت والله يا بن صوحان، إنّك لسليل أقوام كرام خطباء فصحاء، ما ورثت هذا من كلالة، زدني، فقال نعم: الفارس كثير الحذر، مديد النّظر، يلتفت بقلبه ولا يدير خرزات صلبه، قال: أحسنت والله يا بن صوحان الوصف، فهل في هذه الصّفة من شعر؟ قال: نعم، لزهير بن حباب الكلبي يرثي ابنه عمراً حيث يقول:

فـــارس تكـــلأ الـــصّحابة منـــه
بحـــسام يمـــر مـــر الحريـــق
لا تـــراه لـــدى الـــوغى فـــي مجـــال
يغفـــل الـــضّرب لا ولا فـــي مـــضيق
مـــن يـــراه يخلـــه فـــي الحـــرب يومـــاً
إنّـــه أخـــرق مـــضل الطّريـــق

في أبيات فقال له ابن عبّاس: فأين أخواك منك يا بن صوحان، صفهما لأعرف ورثكم، قال: أما زيد فكما قال أخو غني:

فتـــى لا يبـــالي أن يكـــون بوجهـــه
إذا نـــال خـــلان الكـــرام شـــحوب
إذا مـــا تـــراآه الرّجـــال تحفظـــوا
فلـــم ينطقـــوا العـــوراء وهـــو قريـــب
حليـــف النّـــدى يـــدعو النّـــدى فيجيبـــه
إليـــه يودعـــوه الـــورى فيجيـــب
يبيـــت النّـــدى يـــا أمّ عمـــرو ضـــجيعه
إذا لـــم يكـــن فـــي المنقبـــان حلـــوب
كـــأن بيـــوت الحـــي مـــا لـــم يكـــن بهـــا
بـــسائس مـــا يلفـــي بهـــن غريـــب

في أبيات كان والله يا بن عبّاس عظيم المروءة شريف الأخوة، جليل الخطر بعيد الأثر، كميش العروة، أليف البدوة، سليم جوانح الصّدر، قليل وساوس الدّهر، ذاكراً لله في طريق النّهار وزلفاً من الليل، الجوع والشّبع عنده سيان، لا ينافس في الدّنيا، وأقل أصحابه من ينافس فيها، يطيل السّكوت ويحفظ الكلام، وإن نطق نطق بعقام، يهرب منه الدّعار الأشرار، ويألفه الأحرار الأخيار.

قال ابن عبّاس: ما ظنك برجل من أهل الجنة، رحم الله زيداً، فأين كان عبد الله منه؟ قال: كان عبد الله سيداً شجاعاً، مألفاً مطاعاً، خيره وساع وشره دفاع، قلبي النحيزة، أحوذي الغريزة، لا ينهنهه منهنه عما أراده، ولا يركب من الأمر إلا عتاده، سمام عدى، وباذل قرى، صعب المقادة، جزل الرّفادة أخو إخوان، وفتى فتيان، وهو كما قال البرجمي عامر بن سنان:

ســمام عــدى بالنّبــل يقتــل مــن رمــى
وبالـــسّيف والـــرّمح الرّدينـــي مـــشعب
مهيـــب مفيـــد للنـــوال معـــود
بفعـــل النّـــدى والمكرمـــات مجـــرب

في أبيات فقال له ابن عبّاس: أنت يا بن صوحان باقر علم العرب.

وفد العراقيين ومنهم صعصعة لدى معاوية:

قدم وفد من العراق على معاوية، فقدم في وفد أهل الكوفة عدي بن حاتم الطّائي، وفي وفد أهل البصرة الأحنف بن قيس، وصعصعة بن صوحان، فقال عمرو بن العاص لمعاوية: هؤلاء

رجال الدّنيا وهم شيعة علي(عليه السلام) الّذين قاتلوا معه يوم الجمل وصفين فكن منهم على حذر، فأمر لكلّ رجل منهم بمجلس سري واستقبل القوم بالكرامة فلما دخلوا عليه قال لهم: مرحباً بكم يا أهل العراق، قدمتم أرض الله المقدسة أرض الأنبياء والرّسل منها المنشر وإليها المحشر، قدمتم على خير أمير يبركم ويرحم صغيركم ولو أنّ النّاس كلّهم ولد أبي سفيان لكانوا حلماء عقلاء.

فأشار النّاس -أي العراقيين- إلى صعصعة بن صوحان، فقام فحمد الله وصلّى على النّبي(صلى الله عليه وآله)، ثمّ قال:

أمّا قولك يا معاوية، إنا قدمنا إلى الأرض المقدسة، فلعمري ما لأرض تقدسن النّاس ولا يقدس النّاس إلا أعمالهم، وأمّا قولك: أرض الأنبياء والرّسل فمن بها من أهل النّفاق والشّرك والفراعنة والجبابرة أكثر من الأنبياء، وأمّا قولك إنّ منها المنشر وإليها المحشر، فلعمري ما ينفع قربها كافراً، ولا يضر بعدها مؤمناً، وأمّا قولك: لو أنّ النّاس كلّهم ولد أبي سفيان لكانوا حلماء عقلاء، فقد ولدهم من هو خير من أبي سفيان، آدم صلى الله عليه، فأولد الأحمق والمنافق والفاسق والمعتوه والمجنون، فقال معاوية: لأجفينك عن الوساد، ولأشردن بك في البلاد، فقال صعصعة: والله إنّ في الأرض لسعة، وإنّ في فراقك لدعة، فقال له معاوية، والله لأحبسن عطاءك، قال: إن كان ذلك بيدك فافعل، إنّ العطاء وفضائل النّعماء في ملكوت من لا تنفد خزائنه، ولا يبيد عطاؤه، ولا يحيف في قضيته، فقال له معاوية: لقد استقتلت؟ فقال له صعصعة: مهلاً لم أقل جهلاً، ولم استحل قتلاً، ﴿**وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ**﴾[1]، ﴿**وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً**﴾[2]، كان الله لقاتله مقيماً يرهقه أليماً ويجرعه حميماً ويصليه جحيماً، فقال معاوية لعمرو بن العاص: اكفناه، فقال له عمرو: وما تجهمك لسلطانك؟ فقال له صعصعة: ويلي عليك يا مأوى مطردي أهل الفساد، ومعادي أهل الرّشاد، فسكت عنه عمرو.

بعض أجوبته:

ذكر الجاحظ[3] تكلم صعصعة عند معاوية: فعرق فقال معاوية: بهرك القول يا صعصعة؟ فأجاب: إنّ الجياد نضاحة بالماء.

وتغدى صعصعة بن صوحان عند معاوية: فتناول من بين يدي معاوية شيئاً، فقال: يا بن صوحان، لقد انتجعت من بعيد، قال: من أجدب انتجع.

قال أبو عمرو: خرج صعصعة بن صوحان عائداً من مكة، فلقيه رجل، فقال له يا عبد الله، كيف تركت الأرض؟ قال: عريضة أريضه، قال: إنما عنيت السّماء؟ قال: فوق البشر ومدى البصر، قال: سبحان الله، إنما أردت السّحاب، قال: تحت الخضراء، وفوق الغبراء، قال: إنما أعني المطر، قال: قد عفا الأثر وملأ الفتر وبل الوبر ومطرنا أحيى مطر، قال: إنسي أنت أم جني؟ قال: بل إنسي من أمّه رجل مهدي صلى الله عليه وسلم.

جواب صعصعة لعلي(عليه السلام) في الموادعة:

لما تكلم النّاس في الموادعة، وجاءت الرّسل من علي(عليه السلام) إلى معاوية ومن معاوية لعلي(عليه السلام)، فقال رأس من أهل العراق: إنّ هذه الحرب أكلتنا، وأذهبت الرّجال والرّأي الموادعة، وقال بعضهم: لا بل نقاتلهم اليوم على ما قاتلناهم عليه أمس وكانت الجماعة قد رضيت الموادعة، وجنحت إلى الصّلح والمسالمة، قال الرّاوي فخطب علي(عليه السلام) أصحابه حينذاك، فقال: أيّها النّاس إنّه لم أزل من أمري على ما أحب، حتّى قد احتكم الحرب، وقد والله أخذت منكم وتركت، وهي لعدوكم أنهك.. الخ.

فتكلم الوجوه من أصحاب علي(عليه السلام) وأبدوا ما عندهم من الولاء والطّاعة لأمير المؤمنين(عليه السلام) أمثال كردوس بن هاني، وسفيان بن ثور، وحريث بن جابر، وخالد بن معمر، والحصين بن الجارود، والأحنف بن قيس، وعمرو بن الحمق الخزاعي، وغيرهم من جلة الصّحابة والتّابعين، وفي طليعتهم صعصعة بن صوحان العبدي، فكان من كلامه، أن قال: يا أمير المؤمنين إنا سبقنا النّاس إليك، يوم قدوم طلحة والزّبير عليك فدعانا حكيم إلى نصرة عاملك عثمان بن حنيف فأجبناه، فقاتل عدوك حتّى أصيب في قوم من بني قيس عبدوا الله حتّى كانت أكفهم مثل أكف الإبل، وجباههم مثل ركب المعز، فأسر الحي وسلب القتيل فكنا أوّل قتيل وأسير، ثمّ رأيت بلاءنا، وقد كلت البصائر وذهب الصّبر وبقي الحق موفوراً، وأنت بالغ بهذا حاجتك والأمر إليك ما أراك الله فمرنا به، ولما قال علي(عليه السلام) لصعصعة بن صوحان في المنذر بن الجارود ما قال: قال صعصعة يا أمير المؤمنين لئن قلت ذاك إنّه لنظار في عطفيه تفال في شراكيه تعجبه حمرة برديه.

صعصعة يكلم الخوارج:

لما حكم الحكمان وكان حكمهما بغير ما أنزل الله تعالى: وانقلب الخوارج على علي(عليه السلام) ومرقوا من الدّين كما يمرق السّهم من الرّمية وكلمهم أمير المؤمنين(عليه السلام) وأوقفهم على خطأهم قالوا أمهلنا حتّى ننظر فانصرف عنهم علي(عليه السلام)، فقال صعصعة بن صوحان: يا أمير المؤمنين، ائذن لي في كلام القوم، قال: نعم، ما لم تبسط يداً، قال: فنادى صعصعة بن

---

(1) سورة الأنعام.
(2) سورة الإسراء.
(3) انظر الجاحظ البيان والتّبيين.

الكواء، فخرج إليه، فقال: أنشدكم بالله يا معشر الخارجين أن لا تكونوا عاراً على من يعزو لغيره، وأن لا تخرجوا بأرض تسموا بها بعد اليوم، ولا تستعجلوا ضلال العام، خشية ضلال عام قابل، فقال ابن الكواء: إنّ صاحبك لقينا بأمر قولك فيه صغير، فأمسك[1].

عقيل يذكر صعصعة لمعاوية:

ذكر المسعودي في عرض دخول عقيل بن أبي طالب على معاوية والمفاخرة معه منها، لما ظهر عليه، فقال معاوية: عزمت عليك يا أبا يزيد لما أمسكت، فإنّي لم أجلس لهذا، وإنما أردت أن أسألك عن أصحاب علي، فإنّك ذو معرفة بهم، فقال عقيل: سل عما بدا لك، فقال: ميزلي أصحاب علي، وابدأ بآل صوحان فإنّهم مخاريق الكلام، قال:

أمّا صعصعة فعظيم الشّأن، عضب اللسان، قائد فرسان، قاتل أقران، يرتق ما فتق، قليل النّظير.

وأمّا زيد وعبد الله، فإنّهما نهران جاريان، يصب فيهما الخلجان، ويغاث بهما البلدان، رجال جد لا لعب معه، وأمّا بنو صوحان لكما قال الشّاعر:

إذا نزل العدو فإنّ عندي
أسوداً تخلس الأسد النّفوسا

فاتصل كلام عقيل بصعصعة، فكتب إليه:

بسم الله الرّحمن الرّحيم، ذكر الله أكبر، وبه يستفتح المستفتحون، وأنتم مفاتيح الدّنيا والآخرة، أمّا بعد، فقد بلغ مولاك كلامك لعدو الله وعدوه، فحمدت الله على ذلك، وسألته أن يفيء بك إلى الدّرجة العليا، والقضيب الأحمر، والعمود الأسود فإنّه عمود من فارقه فارق الدّين الأزهر، ولئن نزعت بك نفسك إلى معاوية طلباً لماله، إنّك لذو علم بجميع خصاله، فاحذر أن تعلق بك ناره، فيضلك عن المحجة، فإنّ الله قد رفع عنكم أهل البيت ما وضعه في غيركم، فما كان من فضل أو إحسان فيكم وصل إلينا، فأجل الله أقداركم، وحمى أخطاركم وكتب آثاركم، فإنّ أقداركم مريضة وأخطاركم محمية، وآثاركم بدرية وأنتم سلم الله إلى خلقه ووسيلته إلى طرقه، أيد علية، ووجوه جلية وأنتم كما قال الشّاعر:

فما كان من خير أتوه فإنما
توارثه آباء آبائهم قبل
وهل ينبت الخطي إلا وشيجة
وتغرس إلا في منابتها النّخل

كلام الجاحظ في حق صعصعة:

(1) انظر ابن عبد ربه، الأندلسي العقد الفريد ج4/ص

قال الجاحظ في فصل له، وقوله على الإسهاب:

فامّا أرباب الكلام، ورؤساء أهل البيان، والمطبوعون المعادون وأصحاب التّحصل والمحاسبة، والتّوقي والشّفقة، والّذين يتكلمون في صلاح ذات البين، وفي إطفاء نائرة، أو حمالة أو على منبر جماعة، أو في عقد أملاك، بين مسلم ومسلمة، فكيف يكون كلام هؤلاء يدعو إلى السّلاطة والمراء، وإلى الهذر والبذاء، وإلى النّفخ والرّياء، ولو كان هذا كما يقولون لكان علي بن أبي طالب، وعبد الله بن عبّاس رضي الله عنهما أكثر النّاس فيما ذكرتم، فلم خطب صعصعة بن صوحان عند علي بن أبي طالب؟ وقد كان ينبغي للحسن البصري أن يكون أحق التّابعين بما ذكرتم، وقال أشيم بن شفيق بن ثور لعبيد الله بن زياد بن ظبيان:

ما أنت قائل لربك، وقد حملت رأس مصعب بن الزّبير إلى عبد الملك بن مروان؟ قال: اسكت، فأنت يوم القيامة أخطب من صعصعة بن صوحان إذا تكلمت الخوارج، قال الجاحظ فما ظنك ببلاغة رجل، عبيد الله بن زياد يضرب به المثل؟ وإنما أردنا بهذا الحديث، خاصة الدّلالة على تقديم صعصعة بن صوحان في الخطب وأولى من كلّ دلالة استنطاق علي له:

قلت: كيف لا يكون صعصعة كذلك، وهو خريج مدرسة علي بن أبي طالب(عليه السلام) وصاحبه، ومن قواد جيشه، لازمه حتّى أفجع ابن ملجم المرادي به الإسلام والمسلمين، ولم يفارقه إلا ساعة دفنه، وسيأتيك ما أبن به علياً بعد أن واروه أولاده في نفر من أصحابه ومنهم صعصعة ورثائه لسيده أمير المؤمنين(عليه السلام).

صعصعة وما قيل فيه:

كان مسلماً على عهد رسول الله(صلى الله عليه وآله)، لم يلقه ولم يره صغر عن ذلك وكان سيداً من سادات قومه عبد القيس، وكان فصيحاً خطيباً عاقلاً لسناً، ديناً، فاضلاً، بليغاً يعد في أصحاب علي رضي الله عنه. [القرطبي[2]].

له ذكر في السّنن مع عمر ذكر الإمام أبو بكر الطّرسوسي في مصنفه في السّماع أنّه من أصحاب النّبي(صلى الله عليه وآله) وما أضنه ذكره كذلك إلا بالتّوهم لشهرته عصر كبار الصّحابة. [ابن حجر العسقلاني[3]].

كان صعصعة يكنى أبا طلحة، وكان من أصحاب الخطط بالكوفة، وكان خطيباً وكان من أصحاب علي بن أبي طالب، وكان ثقة قليل الحديث. [ابن سعد[4]].

(2) انظر القرطبي، الاستيعاب بهامش الإصابة ج/ص
(3) انظر القرطبي، الاستيعاب بهامش الإصابة ج/ص
(4) الطّبقات الكبرى لابن سعد.

كان صعصعة مسلماً على عهد رسول الله(ﷺ) ولم يره وصغره عن ذلك، وكان سيداً من سادات قومه عبد القيس، وكان فصيحاً لسناً ديناً فاضلاً، يعد من أصحاب علي رضي الله عنه وشهد معه حروبه، وكان ثقة قليل الحديث، أخرجه الثّلاثة وهو ممن سيره عثمان إلى الشّام. [الجزري[1]].

زيد وصعصعة وسيحان أولاد صوحان العبدي، وكان صعصعة خطيباً. [ابن الأثير[2]].

كان صعصعة مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم الجمل وكان من أخطب النّاس. [ابن قتيبة[3]].

كنت أتعلم منه الخطب، ووصفه عبد الملك بن مروان بأنّه أحضر النّاس جواباً. [الشّعبي[4]].

صعصعة بن صوحان ثقة معروف ذكره الجورجاني في الضّعفاء وعده من جملة الخوارج ولم يصح ذلك[5] وقد وثقه ابن سعدوس. [الذّهبي[6]].

هو صعصعة بن صوحان بن حجر العبدي الكوفي أحد شيعة علي(عليه السلام)، أمره على بعض الكراديس يوم صفين، وكان شريفاً مطاعاً خطيباً بليغاً مفوهاً، واجه عثمان بشيء، فابعده إلى الشّام. [شمس الدّين الذّهبي[7]].

كان عظيم القدر من أصحاب أمير المؤمنين(عليه السلام)، روي عن الصّادق(عليه السلام) أنّه قال: ما كان مع أمير المؤمنين(عليه السلام) من يعرف حقه إلا صعصعة وأصحابه. [الأردبيلي[8]].

صعصعة بن صوحان بن حجر بن عبد الحارث العبدي من سادات عبد القيس، من أهل الكوفة، كان خطيباً بليغاً عاقلاً له شعر، شهد صفين مع علي، وله مع معاوية مواقف، قال الشّعبي كنت أتعلم منه الخطب، ونفاه المغيرة من الكوفة إلى جزيرة أوّل في البحرين بأمر معاوية فمات فيها، وقيل مات بالكوفة. [الزّركلي[9]].

(1) أسد الغابة للجزري، ﷺ/عليه السلام/عليها السلام.
(2) الباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير عليه السلام/ﷺ/عليه السلام/عليها السلام
(3) انظر ابن قتيبة – المعارف.
(4) الإصابة عليه السلام/عليها السلام/عليه السلام/عليها السلام.
(5) قلت أنّ الجورجاني ومن كتب في الرّجال بهذا القول، فإنّ صعصعة من وجوه أصحاب أمير المؤمنين(عليه السلام) ومن المتفانين دونه حتّى حين وفاته إذن يضرب بقوله هذا عرض الجدار.
(6) ميزان الاعتدال عليه السلام/ﷺ/عليه السلام/عليها السلام.
(7) تاريخ الإسلام عليه السلام/ﷺ/عليه السلام/عليها السلام.
(8) جامع الرّواة عليه السلام/عليها السلام/عليه السلام/عليها السلام.
(9) انظر الزّركلي، الأعلام ﷺ/عليه السلام/عليها السلام

هو صعصعة بن صوحان العبدي، تابعي كبير، مخضرم فصيح ثقة، مات في خلافة معاوية. [عبد السّلام محمّد هارون].

ومن علماء الكلام، صعصعة بن صوحان العبدي نزيل الكوفة التّابعي الكبير، كان من العلماء، من شيعة علي(عليه السلام). [السّيد حسن الصّدر[10]].

صعصعة والفزاري:

روى لنا المسعودي[11]، قال حدث أبو جعفر محمّد بن حبيب الهاشمي، عن أبي الهيثم بن يزيد بن رجاء الغنوي، قال وقف رجل من بني فزارة على صعصعة، فأسمعه كلاماً منه، بسطت لنا لسانك يا بن صوحان على النّاس فتهيبوك، أما لئن شئت لأكونن لك لصاقاً، فلا تنطق إلا جددت لسانك، بأذرب من طنة السّيف بعضب قوي، ولسان علي، ثمّ لا يكون لك في ذلك حل ولا ترحال، فقال صعصعة: لو أجد عرضاً منك لرميت، بل أرى شبحاً ولا أخال مثالاً، إلا كسراب بقيعة يحسبه الظّمآن ماء حتّى إذا جاءه لم يجده شيئاً، أما لو كنت كفواً لرميت حصائلك بأذرب من ذلق السّنان، ولرشقتك بنبال تردعك عن النّضال ولخطمتك بخطام يخزم منك موضع الزّمام فاتصل الكلام بابن عبّاس، فاستضحك من الفزاري، وقال: أما لو كلف أخو فزارة نفسه نقل الصّخور من جبال شمام إلى الهضاب، لكان أهون عليه من منازعة أخي عبد القيس خاب أبوه ما أجهله يستجهل أخا عبد القيس، وقواه المريرة، ثمّ تمثل:

صبت عليك ولم تنصب من أمم
إنّ الشّقاء على الأشقين مصبوب

كلام صعصعة عند مصرع الرّاسبي:

في مروج الذّهب[12] ذكر الأزدي، قال: نظرت إلى أبي أيوب الأنصاري في يوم النّهروان، وقد علا عبد الله بن وهب الرّاسبي فضربه ضربة على كتفه فأبان يده، وقال: بؤبها إلى النّار يا مارق، فقال عبد الله: ستعلم أينا أولى بها صلياً، قال: وأبيك إنّي أعلم إذ أقبل صعصعة بن صوحان، فوقف وقال: أولى بها والله صلياً من ضل في الدّنيا عمياً، وصار في الآخرة شقياً، أبعدك الله وأنزحك، أما والله لقد أنذرتك هذه الصّرعة بالأمس، فأبيت إلا نكوصاً على عقبيك، فذق يا مارق وبال أمرك، وشرك أبا أيوب في قتله، ضربه ضربة بالسّيف أبان بها رجله وأدركه بأخرى في بطنه وقال: لقد صرت إلى نار لا

(10) انظر السّيد حسن الصّدر، تأسيس الشّيعة ص ﷺ/عليه السلام/عليها السلام.
(11) انظر المسعودي، مروج الذّهب عليه السلام/ﷺ/عليه السلام/عليها السلام.
(12) انظر المسعودي، مروج الذّهب عليه السلام/عليها السلام/عليه السلام/عليها السلام.

يطفأ ولا يبوخ سعيرها، ثمّ احتز رأسه وأتيا به علياً، فقالا: هذا رأس الفاسق النّاكث المارق عبد الله بن وهب، فنظر إليه فقطب، وقال: شاه هذا الوجه، حتّى خيل إلينا أنّه يبكي، ثمّ قال: قد كان أخو راسب، حافظاً لكتاب الله، تاركاً لحدود الله، ثمّ قال لهما: اطلبا لي ذا الثّدية فطلب فلم يوجد فرجعا إليه وقالا: ما أصبنا شيئاً، فقال: والله لقد قتل في يومه هذا، وما كذبني رسول الله(ﷺ) ولا كذبت عليه، قوموا بجمعكم فاطلبوه، فقامت جماعة من أصحابه فتفرقوا في القتلى فأصابوه في دهاس[1] من الأرض، فوقه زهاء مائة قتيل، فأخرجوه يجر برجله، ثمّ أتي به إلى علي(عليه السلام) فقال: اشهدوا أنّه ذو الثّدية.

صعصعة يصف المنذر:

ذكر الجاحظ في استطراد كلامه بالعجب، قال: وقيل لعمر: فلان لا يعرف الشّر قال: ذلك أجدر أن يقع فيه، وإنما العجب إسراف الرّجل في السّرور بما يكون منه، والإفراط في استحسانه حتّى يظهر ذلك منه في لفظه وفي شمايله، وهو كالّذي وصف به صعصعة بن صوحان المنذر بن الجارود عند علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، فقال: أما والله إنّه مع ذلك لنظار في عطفيه، تفال في شراكيه، تعجبه حمرة برديه؟

صعصعة الشّاعر:

لصعصعة شعر رائق مدون في كتب التّاريخ وأسفار الأدب فمن شعره قوله:

هلا سألت بني الجارود أي فتى
عند الشّفاعة والباب ابن صوحانا

كانوا وكنا كأمّ أرضعت ولداً
عقت ولم تجز بالإحسان إحسانا

قيل: إنّ هذين البيتين للمزرباني رثى بهما صعصعة بن صوحان هكذا جاء في كتاب حياة الإمام الحسن للبحاثة القرشي، 391/2.

ومن شعره رثاؤه لأمير المؤمنين(عليه السلام) نذكره في موضعه.

صعصعة وأخبار آخر الزّمان:

عن النّزال بن سبرة، قال: خطبنا علي بن أبي طالب(عليه السلام) فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: سلوني أيّها النّاس قبل أن تفقدوني ثلاثاً.

فقام إليه صعصعة بن صوحان، فقال: يا أمير المؤمنين(عليه السلام) متى يخرج الدّجال؟ فقال له علي(عليه السلام): أقعد فقد سمع الله كلامك وعلم ما أردت، والله ما المسؤل عنه بأعلم من السّائل، ولكن لذلك علامات، وهيئات يتبع بعضها بعضاً كحذو النّعل بالنّعل، وإن شئت أنبأتك بها، قال: نعم يا أمير المؤمنين، فقال(عليه السلام):

احفظ فإنّ علامة ذلك، إذا أمات النّاس الصّلاة وأضاعوا الأمانات واستحلوا الكذب، وأكلوا الرّبا، وأخذوا الرّشا، وشيدوا البنيان، وباعوا الدّين بالدّنيا، واستعملوا السّفهاء، وشاوروا النّساء، وقطعوا الأرحام، واتبعوا الأهواء، واستخفوا بالدّماء، وكان الحلم ضعفاً، والظّالم فخراً، وكانت الأمراء فجرة، والوزراء خونة، والقراء فسقة، وظهرت شهادات الزّور، واستعلن الفجور وقول البهتان، والإثم والطّغيان، وحليت المصاحف، وزخرفت المساجد، وطولت المنائر، وأكرم الأشرار، وازدحمت الصّفوف، واختلفت الأهواء، ونقضت العهود واقترب الموعود، وشارك النّساء أزواجهن في التّجارة حرصاً على الدّنيا وعلت أصوات الفساق، واستمع منهم، وكان زعيم القوم أذلهم، واتقي الفاجر مخافة شره، وصدق الكاذب، وائتمن الخائن، واتخذ القيان والمعازف، ولعن آخر هذه الأمّة أوّلها، وركب ذات الفروج السّروج، وتشبه النّساء بالرّجال، والرّجال بالنّساء، وشهد الشّاهد من غير أن يستشهد وشهد الآخر قضاء لذمام بغير حق عرفه، وتفقه لغير الدّين، وآثروا عمل الدّنيا على الآخرة، ولبسوا جلود الضّأن على قلوب الذّئاب، وقلوبهم أنتن من الجيف وأمر من الصّبر، فعند ذلك الوحا الوحا العجل العجل، خير المساكن يومئذ بيت المقدس، ليأتين على النّاس زمان يتمنى أحدهم أنّه كان من سكانه.

قال: وسأله الأصبغ بن نباتة، عن الدّجال: فأدلى بما عهده إليه رسول الله(ﷺ) من العلائم، ثمّ قبيل خروج الدّجال ووصف من يتبعه، وخروج الدّابة، وسد باب التّوبة، فلا توبة تقبل، ولا عمل يرفع، ولا ينفع نفس إيمانها، لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً.

ثمّ قال(عليه السلام) لا تسألوني عما يكون بعد ذلك، فإنّه عهد إلي حبيبي أن لا أخبر به غير عترتي.

فقال النّزال بن سبرة لصعصعة: ما عنى أمير المؤمنين(عليه السلام) بهذا القول؟

فقال صعصعة: يا بن سبرة، إنّ الّذي يصلي خلفه عيسى بن مريم هو الثّاني عشر من العترة، التّاسع من ولد الحسين بن علي(عليه السلام) وهو الشّمس الطّالعة من مغربها يظهر عند الرّكن والمقام، يطهر الأرض، ويضع الميزان العدل، فلا يظلم أحدٌ أحداً، فأخبر أمير المؤمنين(عليه السلام) أنّ حبيبه رسول الله(ﷺ) عهد إليه أن لا يخبر بما يكون بعد ذلك غير عترته الأئمّة.

(1) الدّهاس، الأرض السّهلة أو المكان السّهل.

علي(عليه السلام) يعود صعصعة:

عن أحمد بن النّضر، قال: قال أبو الحسن الثّاني، قال لي: يا أحمد إنّ أمير المؤمنين(عليه السلام) عاد صعصعة بن صوحان في مرضه، فقال:

يا صعصعة، لا تتخذ عيادتي لك أبهة على قومك، فقال صعصعة:

بلى والله أعدها منة من الله علي وفضلاً، فقال له أمير المؤمنين:

إنّي كنت ما علمتك لخفيف المؤنة، حسن المعونة، فقال صعصعة:

أنت والله يا أمير المؤمنين على ما علمتك بالله عليماً وبالمؤمنين رؤوفاً رحيماً.

وفي رواية زاره أمير المؤمنين(عليه السلام)، وقال له: لا تتخذ زيارتنا إيّاك فخراً على قومك.

فقال في جوابه: لا يا أمير المؤمنين(عليه السلام) ولكن ذخراً وأجراً، فقال له:

والله ما كنت إلا خفيف المؤنة، حسن المعونة، فقال صعصعة:

وأنت والله يا أمير المؤمنين، ما علمتك إلا إنّك بالله لعليم، وإنّ الله في عينيك لعظيم، وإنّك في كتاب الله لعلي حكيم، وإنّك بالمؤمنين لرؤوف رحيم[1].

صعصعة يعود علياً(عليه السلام):

ذكر أبو الفرج عن أبي الطّفيل، أنّ صعصعة بن صوحان استأذن علي أمير المؤمنين(عليه السلام) بعد أن عممه ابن ملجم بالسّيف، وقد أتاه عائداً، فلم يكن له عليه إذن فقال صعصعة: للآذن قل يرحمك الله يا أمير المؤمنين حياً وميتاً، فو الله لقد كان الله في صدرك عظيماً، ولقد كنت بذات الله عليماً، فأبلغه الآذن مقالة صعصعة، فقال علي: قل وأنت يرحمك الله، فلقد كنت خفيف المؤنة كثير المعونة.

صعصعة يؤبن علياً(عليه السلام):

لما ألحد أمير المؤمنين(عليه السلام)[2] -وذلك قبل طلوع الفجر من ليلة إحدى وعشرين من شهر الله العظيم- في قبره بالغري بين الذّكوات البيض الأربع -وقف أولاده وخلّص أصحابه على ضريحه الطّاهر، وهم في حالة حزن وبكاء، وقد ارتج الوادي من بكائهم، ومن جملة أصحابه صعصعة بن صوحان العبدي فألقى على شفير قبره كلمة أبن بها أمامه أمير المؤمنين، قال المجلسي[3] وقف صعصعة بن صوحان العبدي على القبر ووضع إحدى يديه على فؤاده والأخرى قد أخذ بها التّراب، ويضرب به رأسه، ثمّ قال: بأبي أنت وأمّي يا أمير المؤمنين، ثمّ قال: هنيئاً لك يا أبا الحسن، فلقد طاب مولدك، وقوي صبرك، وعظم جهادك، وظفرت برأيك، وربحت تجارتك، وقدّمت على خالقك فتلقاك الله ببشارته، وحفتك الملائكة، واستقررت في جوار المصطفى، فأكرمك الله بجواره، ولحقت بدرجة أخيك المصطفى، وشربت بكأسه الأوفى، فأسأل الله أن يمن علينا باقتفائنا أثرك، والعمل بسيرتك، والموالاة لأوليائك، والمعاداة لأعدائك، وأن يحشرنا في زمرة أوليائك، فقد نلت ما لم ينله أحد، وأدركت ما لم يدركه أحد، وجاهدت في سبيل ربك بين يدي أخيك المصطفى حق جهاده، وقمت بدين الله حق القيام، حتّى أ قمت السّنن، وأبرت الفتن، واستقام الإسلام، وانتظم الإيمان، فعليك مني أفضل الصّلاة والسّلام، بك اشتد ظهر المؤمنين، واتضحت أعلام السّبل، وأقمت السّنن، وما جمعت لأحد مناقبك وخصالك، سبقت إلى إجابة النّبي(صلى الله عليه وآله) مقدماً مؤثراً وسارعت إلى نصرته، ووقيته بنفسك، ورميت سيفك ذا الفقار في مواطن الخوف والحذر، قصم الله بك كلّ ذي بأس شديد وذل بك كلّ جبار عنيد، وهدم بك حصون أهل الشّرك والكفر والعدوان والرّدا وقتل بك أهل الضّلال من العدى، فهنيئاً لك يا أمير المؤمنين، كنت أقرب النّاس من رسول الله قربى.

وأولهم سلماً، وأكثرهم علماً وفهماً، فهنيئاً لك يا أبا الحسن، لقد شرف الله مقامك، وكنت أقرب النّاس إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) نسباً وأوّلهم إسلاماً، وأوفاهم يقيناً، وأشدهم قلباً، وأبذلهم لنفسه مجاهداً وأعظمهم في الخير نصيباً، فلا حرمنا الله أجرك ولا أذلنا بعدك، فوالله لقد كانت حياتك مفاتح الخير ومغالق الشّر، وإنّ يومك هذا مفتاح كلّ شر ومغلاق كلّ خير، ولو أنّ النّاس قبلوا منك، لأكلوا من فوقهم، ومن تحت أرجلهم ولكنّهم آثروا الدّنيا على الآخرة، ثمّ بكى بكاءً شديداً، وبكى كلّ من كان معه.

وعدلوا إلى الحسن والحسين ومحمّد وجعفر والعبّاس ويحيى وعون وعبد الله فعزوهم في أبيهم، ثمّ رجعوا في ليلتهم إلى الكوفة.

التّأبين الثّاني:

قالوا: ولما أرادوا الانصراف من القبر، قال صعصعة بن صوحان: رحمك الله يا أبا الحسن، كنت أوّل القوم إسلاماً

(1) ذكره الأردبيلي، في جامع الرّواة عليه السلام/صلى الله عليه وآله، وغيره.

(2) انظر المجلسي، البحار عليه السلام/صلى الله عليه وآله كمبي.

(3) المصدر السّابق.

وأخلصهم إيماناً، وأشدهم يقيناً وأخوفهم لله وأعظمهم عناء، وأحوطهم على رسول الله(صلى الله عليه وآله) وآمنهم على أصحابه، وأفضلهم مناقب، وأكرمهم سوابق، وأرفعهم درجة، وأقربهم من رسول الله، وأشبههم به هدياً وخلقاً وسمتاً وفعلاً، وأشرفهم منزلة وأكرمهم عليه، فجزاك الله عن الإسلام وعن رسوله وعن المسلمين خيراً، قويت حين ضعف أصحابه، وبرزت حين استكانوا ونهضت حين وهنوا ولزمت منهاج رسول الله(صلى الله عليه وآله) إذ هم أصحابه، وكنت خليفته حقاً لم تنازع ولم تضرع برغم المنافقين، وغيظ الكافرين، وكره الحاسدين وضعف الفاسقين، فقمت بالأمر حين فشلوا ونطقت حين تتعتعوا ومضيت بنور الله إذ وقفوا فاتبعوك فهدوا وكنت أخفضهم صوتاً وأعلاهم قنوناً، وأقلهم كلاماً، وأصوبهم نطقاً، وأكثرهم رأياً وأشجعهم قلباً وأشدهم يقيناً وأحسنهم عملاً، وأعرفهم بالأمور، كنت والله يعسوباً للدّين أوّلاً وآخراً، الأوّل حين تفرق النّاس والآخر حين فشلوا، كنت للمؤمنين أباً رحيماً، إذ صاروا عليك عيالاً، وحملت أثقال ما عنه ضعفوا وحفظت ما أضاعوا ووعيت ما أهملوا وشمرت إذ اجتمعوا، وعلوت إذ هلعوا، وصبرت إذ أسرعوا، وأدركت أوتار ما طلبوا، وقالوا بك ما لم يحتسبوا كنت للكافرين عذاباً صباً ونهباً، وللمؤمنين عمداً وحصناً فطرت والله بنعمائها، وفزت بحبائها، وأحرزت سوابقها، وذهبت بفضائلها لم تفل حجتك، ولم يزغ قلبك، ولم تضعف بصيرتك، ولم تجبن نفسك ولم تخن، كنت كالجبل لا تحركه العواصف، وكنت كما قال: آمن النّاس في صحبتك وذات يدك، وكنت كما قال: ضعيفاً في بدنك قوياً في أمر الله، متواضعاً في نفسك عظيماً عند الله، كبيراً في الأرض، جليلاً عند المؤمنين، لم يكن لأحد فيك مهمز ولا لقائل فيك مغمز، ولا لأحد فيك مطمع، ولا لأحد عندك هوادة، الضّعيف الذّليل عندك قوي عزيز حتّى تأخذ له بحقه، والقوّي العزيز عندك ضعيف ذليل حتّى تأخذ منه الحق، والقريب والبعيد عندك في ذلك سواء، شأنك الحق والصّدق والرّفق، وقولك حكم وحتم، وأمرك حلم وحزم، ورأيك علم وعزم فيما فعلت، وقد نهج بك السّبيل وسهل بك العسير، وأطفأت بك النّيران، واعتدل بك الدّين، وقوي بك الإسلام، وظهر أمر الله ولو كره الكافرون، وثبت بك الإسلام والمؤمنون وسبقت إلى الإسلام سبقاً بعيداً، وأتعبت من بعدك تعباً شديداً، فجللت عن البكاء، وعظمت رزيتك في السّماء، وهدت مصيبتك الأنام، فإنا لله وإنّا إليه راجعون رضينا عن الله قضاءه وسلمنا لله أمره، فوالله لن يصاب المسلمون بمثلك أبداً، كنت للمؤمنين كهفاً وحصناً، وقنة راسية، وعلى الكافرين غلظة وغيظاً، فألحقك الله بنبيه، ولا حرمنا أجرك ولا أظلنا بعدك، السّلام عليك يا أمير المؤمنين وعلى ولديك الحسن والحسين وعلى ضجيعيك آدم ونوح وعلى جاريك هود وصالح ورحمة الله وبركاته.

صعصعة يرثي علياً(عليه السلام):

وممن رثى أمير المؤمنين علياً(عليه السلام) صعصعة بن صوحان العبدي[1] بقوله:

ألا من لي بأنسك يا أخيا ... ومن لي أن أبثك ما لديا
طوتك خطوب دهر قد تولى ... لذاك خطوبه نشراً وطيا
فلو نشرت قواك لي المنايا ... شكوت إليك ما صنعت إليا
بكيتك يا علي بدّر عيني ... فلم يغن البكاء عليك شيا
كفى حزناً بدفنك ثمّ أنّي ... نفضت تراب قبرك من يديا
وكانت في حياتك لي عظاة ... وأنت اليوم أوعظ منك حيا
فيا أسفي عليك وطول شوقي ... ألا لو أنّ ذلك رد شيا

ومن رثائه له أيضاً:

هل خبّر القبر سائليه ... أم قرّ عيناً بزائريه
أم هل تراه أحاط علماً ... بالجسد المستكّن فيه
لو علم القبر من يواري ... تاه على كل من يليه
يا موت ماذا أردت مني ... حققت ما كنت أتقيه
يا موت لو تقبل افتداء ... لكنت بالرّوح أفتديه
دهر رماني بفقد إلفي ... أذم دهري واشتكيه

هذا ما وقفت على رثائه لإمامه وسيده أمير المؤمنين(عليه السلام).

وفاة صعصعة:

ذكر ابن سعد في طبقاته الكبر[2]ى قال: توفي صعصعة بالكوفة، في خلافة معاوية بن أبي سفيان، ومثله ذكر الجزري[3].

وذكر العلامة القرشي مؤلف كتاب -حياة الإمام الحسن عليه السّلام- في عرض الشّروط الّتي اشترطها الإمام الحسن ابن علي(عليه السلام) على مع معاوية، وأخذ الأمان منه لأصحاب أبيه، وكان صعصعة من جملة الأشخاص الّذين طلب لهم الإمام الحسن(عليه السلام) من معاوية الأمن وعدم التّعرض لهم بسوء ومكروه، ولكن معاوية لم يف بذلك، فقد روعه وأفزعه وأودعه في سجنه كما روع غيره من الزّعماء، وصرحت بعض

(1) انظر أبو الفرج الأصبهاني -مقاتل الطّالبيين- ص[illegible] مصر وابن أبي الحديد- شرح نهج البلاغة [illegible] مصر.
(2) انظر ابن سعد -الطّبقات- [illegible]
(3) انظر عبد الكريم الجزري -أسد الغابة- [illegible]

المصادر أنّ المغيرة نفى صعصعة بأمر معاوية من الكوفة إلى الجزيرة، أو إلى البحرين، أو إلى جزيرة ابن كافان، فمات بها معتقلاً منفياً عن وطنه وبلاده، انتهى قلت انفرد بهذا القول ابن حجر العسقلاني في كتابه الإصابة.

نعم: وفي البحرين -جزيرة أوال- قبر يقال له: زيد بن صوحان، والحالة زيد قتل في واقعة الجمل على ما صرح به المؤرخون، قتل في يوم واقعة البصرة بين يدي أمير المؤمنين، ولقد سألت أحد المؤرخين هناك عن هذا القبر، قال يحتمل أن يكون قبر صوحان بن صعصعة بن صوحان، فاشتبه الأمر على المؤرخين، ونوهوا عنه أنّه قبر زيد بن صوحان، ولقد زرته في سنة ستين وثلاثمائة بعد الألف، في الثّامن عشر من المحرم، وشاهدت حول هذا القبر -المنسوب إلى زيد- بعض البيوت -وكلّهم حنابلة- فسألت رجلاً هناك، لمن هذا المرقد؟ أجابني هذا قبر زيد بن صوحان قائد جيش سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وكذلك شاهدت كثيراً من الحنابلة يأتون إلى هذا القبر فيزورونه ويتبركون به وينذرون له.

ولد صعصعة:

ذكروا أنّ لصعصعة كان ولد اسمه صوحان.

قال السّيد ابن طاووس رضوان الله عليه، في ذكر أهل بيت الحسين(عليه السلام) عند رجوعهم من كربلاء إلى المدينة وخطبة السّجاد علي بن الحسين(عليه السلام) ما هذا لفظه:

فقام صوحان بن صعصعة بن صوحان، وكان زمناً[1] فاعتذر إليه بما عنده من زمانة رجليه، فأجابه السّجاد بقبول معذرته، وحسن ظنه فيه، وشكر له، وترحم على أبيه.

مسجد صعصعة:

من الآثار القديمة في الكوفة ومساجدها الأثرية، منها مسجد صعصعة بن صوحان العبدي[2] وموقعه في قصبة الكوفة في الشّمال الشّرقي للمسجد الأعظم -مسجد الكوفة- وبالقرب من مسجد السّهلة في فضاء رحب، بينه وبين مسجد سهيل مائتين وعشرين متراً تقريباً، ومنه إلى باب مسجد سهيل الشّرقي بناؤه يظهر عليه القدم، قد أضرت بحيطانه صروف الملوان، وطاقه منخفض جداً، بحيث يستطيع الرّجل المتوسط القامة أن يمس السّقف -الطّاق- بيده لانخفاضه، وكنت أرتاده ليالي الأربعاء منذ سنة أربعين وثلاثمائة بعد الألف للهجرة سنة كاملة، في كلّ ليلة أربعاء، فأشاهده يكاد أن يسيخ القدم بنائه، وقد شيد بناؤه من أنقاض الكوفة القديمة وخرائبها، ومن أحجارها المتهشمة ولاحظت أنّ هذا المسجد لم تكن فيه أي قطعة خشب قط إلا اللّهم بابه العتيقة المفككة، طول جداره سمت القبلة خمسة عشر متراً، وعرضه من جهة الشّرق والغرب سبعة عشر متراً على التّقريب، ويجد من يدخل فيه الرّوحانية والهيبة فيعروه الخشوع والخضوع، وفي محرابه لوحة من الصّفا قديمة الخط رقم عليها هذا الدّعاء: «عمل مسجد صعصعة» صل ركعتين -تحية المسجد- واطلب حاجتك، واسجد، ثم قل: «يا ذا المنن السّابغة، والآلاء الوازعة، والرّحمة الواسعة، والقدرة الجامعة، والنّعم الجسيمة، والمواهب العظيمة، والأيادي الجميلة والعطايا الجزيلة، يا من لا ينعت بتمثيل، ولا يمثل بنظير، ولا يغلب بظهير، يا من خلق فرزق، وألهم فأنطق، وابتدع فشرع، وعلا فارتفع، وقدر فحسن، وصور فأتقن، واحتج فأبلغ، وأنعم فأسبغ، وأعطى فأجزل، ومنح فأفضل، يا من سما في العزّ ففات نواظر الأبصار، ودنا في اللّطف فجاز هواجس الأفكار، يا من توحد بالملك فلا ند له في ملكوت سلطانه، وتفرد بالآلاء والكبرياء فلا ضدّ له في جبروت شأنه، يا من حارت في كبرياء هيبته دقائق لطائف الأوهام، وانحسرت دون إدراك عظمته خطائف أبصار الأنام، يا من عنت الوجوه لهيبته، وخضعت الرّقاب لعظمته، ووجلت القلوب من خيفته، أسألك بهذه المدحة الّتي لا ينبغي إلا لك، وبما وأبت[3] به على نفسك لداعيك من المؤمنين، وبما ضمنت الإجابة فيه على نفسك للداعين، يا أسمع السّامعين، وأبصر النّاظرين، وأسرع الحاسدين، يا ذا القوّة المتين، صل على محمّد خاتم النّبيين، وعلى أهل بيته المنتجبين، وأقسم في يومي هذا خير ما قسمت، وأحتم لي خير ما حتمت، واختم لي بالسّعادة

(1) الزّمن: ذو زمانة: العاهة، لسان العرب -لابن منظور-.

(2) ومسجد زيد بن صوحان أيضاً -يقع قبلة مسجد السّهلة وغربي مسجد أخيه صعصعة- رحمهما الله.

(3) وأبت: من وأى، بمعنى وعد وضمن -القاموس-.

فيم ختمت، وأحييني ما أحييتني موفوراً، وأمتني مسروراً ومغفوراً، وتول أنت نجاتي من مساءَلة البرزخ، وأدرأ عني منكراً ونكيراً، وارعني مبشراً وبشيراً واجعل لي إلى رضوانك وجنانك مصيراً وعيشاً قريراً وملكاً كبيراً، وصلى الله على محمّد وآله كثيراً».

ويدعى بهذا الدّعاء أيضاً في كلّ يوم من شهر رجب الأصهب.

انتهى..

* * *